



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

تحالف الحضارات «القوة الناعمة» في السياسة القطرية

د. مفيد الزيديّ



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرٌ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

تحالف الحضارات «القوة الناعمة» في السياسة القطرية

د. مفيد الزبيدي*

لم يكن -في واقع الحال- لدولة قطر موقع سياسي، أو اقتصادي خليجي، أو عربي متميز إلى حد كبير، إلى أن وصل الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني (1995 - 2013) إلى الحكم في عام 1995، إذ شهدت الدوحة تغيرات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والاستثمارية والإعلامية والثقافية والتكنولوجية والرياضية بصورة متسارعة، منحها مكانةً جديدةً في الساحتين الخليجية والإقليمية، مع التطلع المتنامي والطموح بأن يكون لها دور في الساحة الدولية.

وتحوّلت قطر من «دولة صغيرة» في المفهوم الجيوبوليتيكي في النظام الإقليمي العربي، إلى دولة لها مكانتها الخليجية والإقليمية، وحققت في ظل سياستها التي توصف بأنها «براغماتية» عديداً من الإنجازات، وثبتت أساساً راسخاً لنفوذها ومكانتها في المنطقة، ويرى المراقبون للشأن القطري أن هذا التغيير في السياسة القطرية ربما يُعدُّ جديداً في المنظومة الخليجية مقارنةً بالإرث التاريخي لها، عن طريق سلطة تجرّد أن مصلحتها في إجراء التغيير السياسي والاقتصادي والإعلامي؛ ولكن هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها بأن الحكم الجديد أدرك حقيقةً جيوبوليتيكيةً، وهي أن قطر «دولة صغيرة» لها ارتباطات تاريخية في مشكلات حدودية مع جيرانها الأكبر، وهي المملكة العربية السعودية، إلى جانب مشكلاتها الحدودية التاريخية والتقليدية مع جارتها مملكة البحرين، وكان لا بدّ من تجاوزها بالابتعاد عن شرعية حكم «المشيخة القبلية»، إلى انتهاج طريق التحول الديمقراطي، ومواجهة التحديات التكنولوجية العالمية، والثورة الصناعية الرابعة، وتحديات عصر العولمة، واستخدام الاستثمار للثروات النفطية والغاز الطبيعي، وتعزيز الوفرة المالية لتحقيق الاستقرار الداخلي، والرفاه الاجتماعي لدعم شرعية النظام وقوته، والتحول إلى مفهوم الربيع النفطي، وإعادة توزيع الثروة على المواطنين على صورة مشروعات عمرانية وخدمية، ومرتببات وحوافز وقروض كبيرة هي الأعلى على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي، ممّا أدّى إلى ارتفاع مستوى الدخل الوطني، والانتقال من عهد المشيخة إلى النظام السياسي المرتكز على التنمية الاجتماعية والاقتصادية¹.

1. مفيد الزبيدي، تاريخ قطر المعاصر، 1913-2008، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص60-57.

* أستاذ الدراسات الخليجية-جامعة بغداد.

تهدف هذه الدراسة للتعرف على السياسة الخارجية القطرية في استخدام مشروع تحالف الحضارات، أحد أدوات «القوة الناعمة» ووسائلها لقطر وسط بيئة مضطربة ومتوترة، وفواعل إقليمية ودولية في منطقة إستراتيجية للقوى الكبرى، بحكم موقعها الجغرافي، وثرواتها النفطية والغازية وتجارتها العالمية، واستثماراتها الكبرى، وفرصها الاقتصادية.

أولاً: قطر ومفهوم تحالف الحضارات

يُعدُّ التواصل بين الحضارات على مر التاريخ، من العناصر البارزة في التطور الحضاري للإنسانية، وبرز التلاقح الحضاري بين حضارة وأخرى، فقد استفاد الإغريق من الحضارة المصرية، وتعلّم الرومان من الحضارة الإغريقية، واستفاد العرب من الإمبراطورية الرومانية، وتعلّمت أوروبا في العصر الوسيط من الحضارة العربية والإسلامية، فكان هذا الحوار بين الحضارات قديم عبر التاريخ؛ ولم يقتصر على حضارة واحدة، بل امتدَّ إلى ثقافات وحضارات أخرى سادها التلاقح الحضاري².

يسعى مفهوم تحالف الحضارات -في العصر الراهن- إلى محاربة حالة العداة والكراهية بين البشرية، وإلى تحديد مصالح مشتركة بين الأمم والشعوب؛ لتحقيق أهداف وطموحات هذه المجتمعات، وتدعم المعرفة المتبادلة من قبل أصحاب تحالف الحضارات فكرة التواصل الفعّال من أجل وضع خطاب مشترك لتحقيق أهداف التحالف، ويُعدُّ التعليم له الدور الرئيس في زيادة التفاهم تمكيناً للحوار الحضاري فيما بين الشعوب، وتتجلى عديد من الطرائق في التعليم لمحاربة التطرّف، والتعصّب، والغلو، والكراهية سواءً في الدين، أم المذهب، أم العرق، أم القومية، ممَّا يخلق التعليم بيئة مناسبة للحوار الذي يسعى تحالف الحضارات إلى اتخاذ الطرائق الكفيلة بمنع الأفراد والجماعات من اللجوء إلى التطرّف، والعنف، في مواجهة تداعيات صدام الحضارات أو صراع الحضارات، والذي يخلق حالة من الخوف، وعدم الاستقرار لدى الشعوب في عالم متغير اليوم³.

2. جمال محمد مصطفى، «دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات»، شوهدي في 22/4/2022.

<https://members.imamu.edu.sa/staff/gmmustafa/fileslibrary/Pages/%D8%AF%D9%88%D8%B1%20%>

3. تحالف الحضارات قاعدة بحث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية لتقديم سوزان دوغلاس، باحثة أقدم، أمانة تحالف الحضارات، (نيويورك: الأمم المتحدة، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2006)، ص 3-2، شوهدي في 22/4/2022.

https://www.unaoc.org/repository/thematic_education_ARA.pdf

وتعمل مبادرة (تحالف الحضارات) التي أطلقتها اليونسكو في عام 2006 لمكافحة الإرهاب والتطرف، في مواجهة هذه التحديات والاعتماد على التعليم في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بمساعدة التكنولوجيا المتطورة في مجال الاتصالات، في إيجاد ما أعلنته المبادرة وهو: «إطار تعليمي لتعزيز أمن البشرية، ومنع النزاعات»، وتأكيد أن نشر العلم والمعرفة من شأنه أن ينهض بالمعرفة والثقافات عن طريق العلوم الإنسانية، وإيجاد الظروف الملائمة للتعاون العالمي في حل المشكلات العلمية، والتكنولوجية التي تواجهها المجتمعات في الغرب أو الشرق⁴.

وفيما يخص دولة قطر، يُعدُّ التعاون الإنمائي الدولي من القضايا التي لاقت اهتماماً متميزاً، لأنه ينبع من فلسفة الدولة في التضامن الإنساني، التي ترى بأنَّ الإنسان في أيِّ مكان يوجد فيه هو هدف وأداة في التنمية المستدامة، وكذلك رؤية قطر الوطنية 2030 التي أشارت -في الغايات المستهدفة في مجال التعاون الدولي- إلى تعزيز دور قطر الإقليمي على الصعيد الاقتصادي والسياسية والثقافية كافة، وفي إطار مجلس التعاون الخليجي، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ومنظمة الأمم المتحدة خاصةً، والمساهمة في تحقيق الأمن والسلم العالميين، وعن طريق مبادرات سياسية، ومعونات تنموية، وإنسانية، وإغاثية، ولذا بادرت قطر في مجال التعاون والدعم للدول العربية والإسلامية في سعيها لتحقيق التنمية والاستقرار فيها⁵.

وتهضمت قطر بدور أساس في مبادرة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات، ودعمتها في بلوغ أهدافها، إذ أنشأت (مركز حوار الأديان) عام 2008؛ لتشجيع التعايش السلمي بين الثقافات وقبول الآخر؛ وأسست (اللجنة القطرية لتحالف الحضارات) من أجل إبراز مساهمة الحضارة العربية والإسلامية في الحضارات الأخرى، فضلاً عن استضافتها منتدى الأمم المتحدة الرابع لتحالف الحضارات في نهاية عام 2011، واستضافتها برنامج الزمالة الدولية لتحالف الحضارات الذي ضمَّ مجموعة من القادة الشباب في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بين (2010-2013)، وتنظيم المؤتمر التمهيدي لمنتدى الأمم المتحدة السادس، والاجتماع السنوي لنقط اتصال تحالف الحضارات، والذي عُقد في الدوحة عام 2014، فضلاً عن الدعم المالي الكبير الذي قدَّمته دولة قطر للصندوق الائتماني للأمم المتحدة لتحالف الحضارات.

4. تحالف الحضارات قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية، تقديم سوزان دوغلاس، المصدر نفسه، ص4.

5. عبدالعزيز محمد الحر، ونوزاد عبدالرحمن الهبتي، التعاون الإنمائي دولة قطر أنموذجاً، (الدوحة: المعهد الدبلوماسي، 2022)، ص157.

وترى السياسة الخارجية لدولة قطر في تحالف الحضارات، بأنه «فرصة فريدة لجميع الأمم لتجاوز الإطار التقليدي القومي»، والانتقال إلى مجال تبادل الأفكار بشأن ما يجمع الأمم ولا يفرق بينها، وطرائق مواجهة ما يهددها، ولا تنكر قطر أن تكون للدول مصالح قومية عليا، وهو حق مشروع لها؛ ولكنها ترى أن تحالف الحضارات، هو مجال التفاعل الإيجابي والمشاركة العالمية في قضايا أساس ومهمة اليوم، وهي:

1. التعليم.

2. الشباب.

3. الهجرة.

4. الإعلام.

وتجسّد اهتمام قطر بقضية تحالف الحضارات في رؤية قطر الوطنية 2030، التي أكّدت رعاية حوار الحضارات والتعايش بين الأديان والثقافات المختلفة ودعمتها، ومن ثمّ أُسّست (اللجنة القطرية لتحالف الحضارات) عام 2010 للنهوض بتحالف الحضارات بوصفها أداة «للقوة الناعمة»، والدبلوماسية الوقائية لدى قطر، والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية كافة، وتسعى قطر -عن طريق تحالف الحضارات- إلى أن تكون أداة دبلوماسية وقائية للتخفيف من التوترات بين أصحاب الديانات والثقافات، ودمج موضوعة تحالف الحضارات في المناهج التعليمية والتدريبية، واللقاءات والندوات والمؤتمرات مع النخب الفكرية، والمتقفة والشباب، ودور وسائل الإعلام لتصحيح الصور النمطية للشعوب والحضارات، ومن ثمّ تبقى داعمةً لحوار الحضارات، بديلاً عن صراع الحضارات، وتأييد تعدد الثقافات، وتبني تحالف الحضارات، عن طريق البرامج والقرارات والتعليمات والمشروعات الحكومية والمؤسسية⁶.

ثم قرّرت القيادة القطرية تأسيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات، بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (8) لعام 2010، وقال الدكتور حسن بن إبراهيم المهندي نائب رئيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات: إنّ اللجنة ساعية للنهوض بأهداف تحالف الحضارات بوصفه أداة من أدوات «القوة الناعمة» للدبلوماسية الوقائية، وذلك عن طريق التعاون مع الأطراف الفاعلة كافة

6. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، «دولة قطر وتحالف الحضارات»، مجلة تحالف الحضارات، (الدوحة: ديسمبر/كانون الأول 2021)، ص15-11.

على الصعيدين الإقليمي والدولي، وتعتمد رسالة اللجنة على تعزيز دور قطر في إبراز مساهمات الحضارة الإسلامية، إلى جانب الحضارات العالمية الأخرى، ودورها في تعزيز الحوار، وحل الصراعات والنزاعات، وتأكيد قيم التسامح، والتضامن والسلام بين الشعوب، ومحاربة التطرف والتعصب، وتقوم رؤية اللجنة على تعاون أوثق بين الأعراق والديانات والثقافات، وإرساء قواعد التضامن، وتبادل الخبرات، والمنافع بين الشعوب على أساس قيم الحق، والعدالة، والمساواة⁷.

وتقوم مهام اللجنة القطرية لتحالف الحضارات على قضايا عديدة، وهي:

1. الإشراف على تطوير خطة عمل الدولة لتحالف الحضارات، ومتابعة مساهمات الدولة في هذا التحالف، والإشراف على المشروعات الخاصة بالدولة القائمة، والمقترحة في هذا الإطار.
2. متابعة برامج التوعية الجماهيرية بضرورة احترام الحضارات كافةً، وأهمية التحالف فيما بينها، وذلك باستخدام الوسائل الممكنة كافةً.
3. اقتراح موضوعات الدراسات المتعلقة بقضايا تحالف الحضارات، وغيرها من المهام ذات العلاقة⁸.

ثانياً: المبادرات القطرية في تحالف الحضارات

للتعريف على المبادرات التي قامت بها السياسة الخارجية القطرية، واستخدام الدبلوماسية الوقائية لها، وذلك عن طريق تأكيد الدكتور نوزاد عبد الرحمن الهيتي -الخبير بأمانة سر اللجنة القطرية لتحالف الحضارات- في محاضرة له ألقاها في الدوحة بشأن الدور الذي تنهض به قطر في مجال تحالف الحضارات، والمكانة التي تحتلها على الصعيد العالمي، والتي جعلت الأمين العام للأمم المتحدة (السابق) «بان كي مون» يختار السفير ناصر بن عبدالعزيز النصر، ليكون ممثلاً سامياً للأمم المتحدة لتحالف الحضارات، وكانت من أبرز المبادرات لقطر التي تُقَدِّم في إطار تحالف الحضارات، وهي:

7. وزير الخارجية: إبراز الدور الرائد لقطر في مجالات تحالف الحضارات

21 يونيو 2016 ، <https://al-sharq.com/article/21/06/2016/%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%8A>، شُوهِد في 12/4/2022.

8. وزير الخارجية: إبراز الدور الرائد لقطر في مجالات تحالف الحضارات، المصدر السابق.

1. دعم مشروعات الشباب لإحداث التغيير، عن طريق صندوق التضامن الشبابي الذي يقدم منحاً بقيمة (30) ألف دولار أمريكي للمنظمات الشبابية التي تنشط في مجال تفاهم الحضارات.
2. مشروع خلق مجتمعات تحقق الاندماج، ويهدف إلى تعزيز آفاق اندماج المهاجرين في جميع أنحاء العالم، وتحسين العلاقات بين هؤلاء المهاجرين الجدد والمجتمعات التي تستقبلهم.
3. البرامج التعليمية المتعلقة بالديانات، والتي تتكون من بوابة إلكترونية للمصادر المتعلقة بالتربية والتعليم حول الديانات.

4. تشجيع الإبداع عن طريق المرفق العالمي للإبداع في مجال التعدد الثقافي، والذي أُسس بشراكة مع شركات تجارية، وصناعية⁹، وهي جزء من خطة تحالف الحضارات، التي أضيف إليها عديد من المبادرات للمدة بين (2007-2009)، فضلاً عن جهودها الدبلوماسية وعلاقاتها العربية والإقليمية والدولية، ومحاولة تسوية الأزمات الدولية، وهذا ما أشار إليه أمير قطر في افتتاح جلسات الحوار الوطني اللبناني قائلاً: «قطر ليست دولة كبيرة؛ ولكنها تسعى لأن تكون ساحة للقاء»¹⁰.

وحققت قطر عدداً من الإنجازات من أهمها، نجاحها في نزع فتيل الأزمة بين الفرقاء اللبنانيين 2009، ووقف النزاع المسلح في اليمن عامي 2008 و2009، والمساهمة في توقيع اتفاق حسن النوايا بين الحكومة السودانية والمتمردين في «دارفور» عام 2009، وتسعى قطر لتحقيق تقارب الحضارات للتخفيف من حدة التوترات بين أصحاب الأديان السماوية والثقافات المتنوعة؛ عبر خطة تقوم على دمج قضايا (تحالف الحضارات) في مناهجها التعليمية والتدريسية بمختلف المراحل العلمية، وتكثيف اللقاءات بين ممثلي الأديان والنخب الفكرية والمثقفين والشباب، فضلاً عن الدور الإعلامي لقطر في تصحيح الصور التقليدية للحضارات العالمية، إذ يقيم على الأراضي القطرية حوالي أكثر من مليون شخص من المقيمين والعاملين في مختلف المجالات، ينحدر أغلبهم من دول ومناطق لها أديان وثقافات تختلف عن الإسلام دين الدولة، ومع ذلك يعيش الجميع فيها بسلام وأمان وانسجام، من دون تعارض مع ثقافة البلد ودينه، الذي يقيمون فيه، ومن دون أن يفقد أو

9. ورشة تحالف الحضارات، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، (الدوحة): <https://qnc.edu.gov.qa/Ar/NewsAndEvents/News/Pages/%D9%88%D8%B1%D8%B4%D8%A9%20%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA.aspx>، شوهد في 15/4/2022.

10. دولة قطر/وزارة الخارجية، خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، <https://www.unaoc.org/wp-content/uploads/Qatar-National-Strategy-Arabic1.pdf>، تاريخ الدخول للموقع 20/4/2022.

يتأثر أي من هؤلاء المقيمين هويته وخصوصيته الثقافية، أو انتماءه الديني أو المذهبي أو العرقي¹¹.

جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات

ومن المبادرات المهمة التي تبنتها قطر، تلك التي أطلقتها جامعة قطر وهي (جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات)، بالتعاون مع اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في وزارة الخارجية، وكرسي الإيسيسكو لتحالف الحضارات بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة قطر، واعتمد مقرر جامعي باسم (تحالف الحضارات)، مع توجه من الجامعة لفتح برنامج لدراسة الماجستير والدكتوراه في مجال حوار الحضارات، واحتضان سلسلة من المؤتمرات الحوارية، مثل: الحوار بين الثقافات، والحوار بين الأديان، والحوار بين المذاهب. وأثمرت في إنشاء (مركز الدوحة الدولي للحوار بين الأديان) وهو مركز نشط يقوم بتنظيم مؤتمرات حوارية كل عام لتعزيز هذا المفهوم الفكري والثقافي لحوار الحضارات، والذي -بالتأكيد- سيصل في نهاية المطاف إلى تحالف الحضارات الغاية الأسمى التي تتجسد فيها تلك الرؤية التي تحتضنها الدولة، وتسعى إلى تحقيقها، وأنشئت هذه الجائزة عام 2018، وتجرى مسابقة سنوية؛ لتعزيز الحوار الحضاري، والثقافي في أنحاء العالم.

ويأتي الإعلام بوصفه أحد أبرز الوسائل التي تعتمد عليها قطر في تحقيق مشروع تحالف الحضارات في ظل بيئة دولية مضطربة، إذ تفاقمت فيها الأزمات التي تهدد استقرار المجتمعات الإنسانية، والدعوة الإعلامية في ترسيخ قيم التعايش والحد من الكراهية، ونشر السلام، وتعزيز قيم الحوار بين الثقافات والحضارات، والتسامح والتعايش بين الأمم والشعوب، ومواجهة الكراهية، وتأكيد أن الرسالة الإعلامية رسالة إنسانية تنشر قيم الاعتدال والوسطية، وتعزز ثقافة الحوار والسلام¹².

ثالثاً: قطر وعناصر تحالف الحضارات

تعتمد السياسة الخارجية القطرية الانفتاح على الثقافات العالمية، وأسس العلاقات التاريخية والتجارية والثقافية، التي ارتبطت بها قطر مع عدد كبير من دول العالم، وأكدت بما التوصل الحضاري عن طريق وسائل عديدة، مثل اتفاقيات التعاون الثقافي في مجالات الفنون والآداب والآثار، والتراث الشعبي والموروث الثقافي، لا سيما أنها تتمتع بتراث شعبي عريق، وثقافة وطنية

11. دولة قطر/وزارة الخارجية، خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، المصدر نفسه.

12. جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، الدورة الثالثة -2020-2021،

وتاريخية مثل: ثقافة اللؤلؤ، فضلاً عن التجارة البحرية، والغوص وصيد الأسماك، والتقاليد البدوية والغناء الشعبي، وموسيقى البحر والرقص الشعبي، التي تُعدُّ من أبرز الثقافات الخليجية والقطرية التقليدية، ويمثّل التاريخ والتراث الثقافي في قطر جزءاً من مجتمع يسير نحو التغيير من دون أن يترك هويته وإرثه الشعبي والحضاري، وأنّ الطبيعة السكانية المتنوعة للمجتمع القطري لها تأثيرها الواضح على الثقافة، إذ تعيش جاليات آسيوية وأفريقية وأمريكية وأوربية على أراضيها.

إنّ الجهود التي تقوم بها قطر في مجال تحالف الحضارات بوصفها مفهوماً وأداةً للحوار والتعاون بين الحضارات العالمية، وهي فلسفة دولة ينتهجها صانع القرار القطري؛ لتعزيز دور الدولة على الصعد الإقليمية والآسيوية والدولية، وتتجسد حالة تحالف الحضارات عبر معطيات عديدة على أرض الواقع، من أبرزها:

1. التفاعل الثقافي مع المجتمعات العالمية.
2. الاتفاقيات الثقافية والتعاون العلمي.
3. المآثورات والثقافة الشعبية.
4. الجاليات الأجنبية في قطر.
5. مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع.
6. مكتبة قطر الوطنية.
7. جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات.
8. مركز الدوحة الدولي للحوار بين الأديان.
9. دور الوساطة في حل النزاعات.
10. دور الإعلام الوطني وتحالف الحضارات.

خاتمة

في المحصلة لا بدّ من الإشارة إلى أنّ وصول الأمير الشيخ تميم بن حمد آل ثاني (2013- حتى الآن) إلى السلطة في قطر، بوصفها دولة خليجية يمثل تحدياً جديداً، وظهور قيادة شبابية لم تكن ظاهرة معروفة من قبل في دول مجلس التعاون الخليجي، ليكمل مسيرة والده الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني عبر التخطيط في مشروعات اقتصادية واستثمارية وتكنولوجية وخدمية واعدة، و«براغماتية» سياسية واقعية، وممارسة دور «الوساطة» في حل الأزمات الإقليمية، وتوجت هذه السياسة القطرية الفاعلة في حل الأزمة التي عصفت بدول مجلس التعاون بعد عام 2017، وانتهت بالمصالحة الخليجية في (قمة العُلا) في المملكة العربية السعودية مطلع عام 2021، وعودة قطر إلى حضن البيت الخليجي من جديد.

ومن جهة أخرى، تقوم السياسة القطرية على إستراتيجية توسيع علاقاتها السياسية والاقتصادية الاستثمارية مع عديد من دول العالم، وهي تُعدّ من أكبر الاقتصادات «الصاعدة» في القرن الحادي والعشرين، بعد اكتشاف النفط والغاز الطبيعي واستثماره في البلاد.

ويعتقد صانع القرار القطري أنّ إمكانات بلاده «الجيوبوليتيكية» غير ساحة له بأن ينهض بدور إقليمي كما يطمح له في ظل تنافس شديد بين قوى كبيرة، مثل: المملكة العربية السعودية، وإيران، وتركيا إلى جانب العراق مع الأزمات التي يمر بها من حين لآخر، ولذا اتبعت قطر وسائل عديدة لتحفيز قدراتها في استخدام «القوة الناعمة»، والدبلوماسية الوقائية، ومن بينها مبادرات لمشروع (تحالف الحضارات)؛ لإشاعة روح التعايش السلمي، وتأكيد التنوع الثقافي، ونبد الكراهية والتعصّب، والحوار بين الحضارات، والتي تعتقد قطر أنّ عن طريقها تستطيع أن تؤكّد سياستها الخارجية، ومكانتها الإقليمية والآسيوية والدولية، وزيادة نفوذها السياسي، وتقديم نفسها «دولة وساطة» في حل الأزمات الخارجية كما في لبنان، والسودان، وأفغانستان، وأوكرانيا، وغيرها، وتحقيق دور جديد كدولة للسلام والتعايش إلى جانب منظمات الأمم المتحدة والجامعة العربية، ونهض بدور إقليمي تفرض به نفوذها مع القوى المتنافسة فيها.

وتدعم السياسة الخارجية القطرية الجانب الثقافي، الذي يُعدّ من المجالات الحيوية والرئيسية في علاقات قطر مع دول المنطقة والعالم، بحكم الأواصر والصلات الحضارية، والروابط والجذور التاريخية القديمة، والعوامل التجارية والمعيشية وحياء البحر التي عاشها الخليجيين، ومنهم

القطريين في عهود سابقة، والانفتاح التجاري والاجتماعي والثقافي على دول وشعوب آسيوية وأفريقية وأوربية خاصة، لذا عملت قطر على سياسة السعي لإقامة الملتقيات الثقافية، والزيارات المتبادلة للفرق الفنية والأدباء والكتّاب، والمتخصصين بالخطوط والنقوش والمتاحف والأزياء والحلي والمجوهرات، والرسم والموسيقى والغناء والسينما، والاستفادة من خبرات الجاليات الأجنبية لديها من مختلف دول العالم شرقاً وغرباً، وهذا يقع في الشق الثقافي كمحور أساس في ترسيخ الحوار بين الحضارات ودعمها، والتقارب بين المجتمعات والانفتاح على الآخر، ونبذ الكراهية والتعصّب والعنصرية والعرقية أو الدينية.

وأصبح التحالف الحضاري بين قطر ودول المنطقة والعالم في تطور متنامي في مجالات عديدة، في أساسها المصالح المتبادلة في الجوانب الاقتصادية والثقافية، والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، والتفاعل والتعاون الثقافي، ومن المتوقع أن يتطوّر النموذج الحضاري في هذه العلاقات لعوامل بنوية راسخة بين الشعوب، تتجه لها اليوم السياسة الخارجية القطرية بواقعية تقوم على الانفتاح على الدول المتقدمة والنامية على حدّ سواء.

وتدرك قطر أنّ العامل الثقافي بات عنصراً مهماً في عصر العولمة وما بعد الحداثة، إذ إنّ خطاب التعايش السلمي والتنوع الثقافي على الصعيد الأممي أصبح شائعاً في المشهد الدولي، تستطيع قطر عن طريقه أن تقدّم نفسها للعالم الخارجي بوصفها دولةً راعيةً لهذا التعايش، وداعمةً للتنوع الثقافي، ويمكنها من ثمّ النهوض بالدور الدولي المؤثّر فيه.

وعليه، نعتقد أنّ صانع القرار العراقي بإمكانه أن يوظّف تاريخ العراق وحضارته العريقة، وتنوع مجتمعه ومكوناته الثقافية والاجتماعية، في ترسيخ تحالف الحضارات وتعزيزه، كمشروع على الصعيد العالمي، يحظى باهتمام منظمة الأمم المتحدة والدول الكبرى في عالم يشهد اليوم أنماطاً مختلفة من العنف، وتساعد الكراهية والتعصّب بحاجة إلى دعم مشروع حوار الحضارات وتعدّد الثقافات، بديلاً عن صراع الحضارات ونظرية «صموئيل هنتغتون»، ورؤية نهاية البشر لـ«فرانسيس فوكاياما»، وغيرها من أطروحات تفتقد إلى الإيجابية الإنسانية، وتسير نحو تجسيد الأنوية الأممية على حساب شعوب أخرى أقل مكانةً أو إمكاناتٍ في المشهد الدولي.

ويمكن لصانع القرار العراقي أيضاً أن يضع مشروع تحالف الحضارات، في إطار أهداف العراق وسياسته بعد عام 2003 في نشر التعايش السلمي، وترسيخ التنوع الثقافي كركيزة أساس من ركائز المجتمع العراقي، ومن ثمّ يدعم نفوذ العراق، ومكانته الإقليمية والدولية من جهة، ثم سيعمل على تعزيز ثقافة التعايش السلمي، وترسيخها في مجتمعه الذي عاش مرحلة صعبة في السنوات السابقة، وبات بحاجة ماسة لإشاعة تلك الثقافة كضمانة لاستقراره الداخلي، ويتطلع لمستقبل أكثر أمناً واستقراراً وازدهاراً لأجياله القادمة.